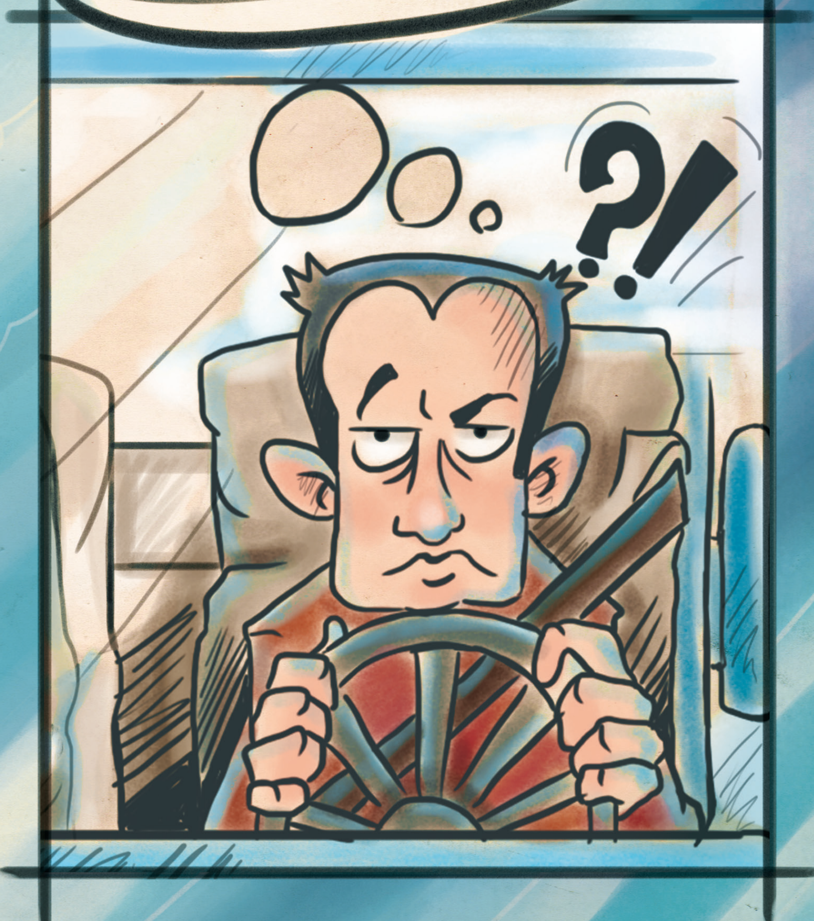
مَدينَةُ الكَذّابين

تأليف: أحمد العبّاسي
رسم: شيرين مصطفى



مَدينَةُ الكَذّابين

تأليف: أحمد العبّاسي
رسم: شيرين مصطفى



لاحَتْ لِـ«عادِل» مِنْ بَعيدٍ مَدينَةٌ عَصْرِيَّةٌ، لَكِنَّها غَريبَةُ الشَّكْل. اقْتَرَبَ مِنْ رَجُلٍ عَجوزٍ يَرْتَدي جِلْبابًا قَديمًا، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وسَأَلَه: «هَلْ هَذِهِ هِيَ مَدينَةُ الزُّهورِ يا عَمّاه؟».



أجابَهُ الرَّجُلُ بِاقْتِضابٍ: «نَعَم، إنَّما كانَ يَجِبُ أنْ يُسَمّوها مَدينَةَ الأشْواك!».

دُهِشَ «عادِل» مِنْ كَلامِ العَجوزِ الَّذي أخْبَرَهُ أنَّهُ سَيَكْتَشِفُ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ في المَدينَة. وقَبْلَ أنْ يَنْصَرِفَ «عادِل»، اسْتَوْقَفَهُ العَجوزُ وسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ مَجيئِهِ إلى المَدينَة.

سالَتْ دَمْعَتانِ مِنْ عَيْنَيِّ «عادِل»، وأخْبَرَ العَجوزَ أنَّ أباهُ ابْتُلِيَ بِمَرَضٍ نادِرٍ، لَمْ يُكْتَشَفْ لَهُ عِلاجٌ حَتّى الآن. وأنَّ صَديقَهُ الطَّبيبَ والباحِثَ في عُلومِ الأعْشاب، سَيَقومُ بِمُحاوَلَةٍ لِتَحْضيرِ مُضادٍّ لِهَذا المَرَض، وأنَّ سَبَبَ مَجيئِهِ إلى مَدينَةِ «الزُّهور»، أنَّ العُشْبَةَ الَّتي سَيُجْري عَلَيْها الطَّبيبُ التَّجارِب، مَوْجودَةٌ في هَذِهِ المَدينَة.

هُنا، ابْتَعَدَ العَجوزُ كَمَنْ يَتَفادى خَطَرًا، وحَذَّرَ «عادِل» مِنْ أحَدٍ يُحاوِلُ ضَرْبَه. مالَ «عادِل» بِرَشاقَةٍ مُحاوِلًا الابْتِعادَ عَنْ مَصْدَرِ الخَطَر. وهُنا، انْفَجَرَ الرَّجُلُ ضاحِكًا حَتّى دَمَعَتْ عَيْناه، ثُمَّ تَوَقَّفَ فَجْأَةً عَنِ الضَّحِك، وهَمَسَ في أُذُنِ «عادِل»: «لا شَيْءَ



خَلْفَكَ، لَكِنَّني أرَدْتُ إخْبارَكَ أنْ لَيْسَ كُلُّ ما يُقالُ صَحيحًا، لِذَلِكَ لا تُصَدِّقْ كُلَّ ما تَراهُ أوْ تَسْمَعَه».

انْطَلَقَ «عادِل» بِسَيّارَتِه، وفي داخِلِهِ جُمْلَةٌ واحِدَةٌ يَتَرَدَّدُ صَداها في عَقْلِه: «يا لَكَ مِنْ رَجُلٍ غَريبِ الأطْوار!». لَكِنَّ صَوْتَ العَجوزِ تَبِعَه: «لَوْ أنَّكَ



فَكَّرْتَ لَحْظَةً، ونَظَرْتَ إلى الظِّلِّ عَلى الأرْض، لَعَلِمْتَ إنْ كانَ هُناكَ أحَدٌ خَلْفَكَ أمْ لا. كَما أخْبَرْتُكَ، لا تُصَدِّقْ كُلَّ ما يُقالُ لَكَ، واسْتَخْدِمْ عَقْلَكَ دائِمًا!». وابْتَعَدَ الصَّوْتُ حَتّى تَلاشى تَمامًا.

كانَ «عادِل» يَشْعُرُ أنَّ الرَّجُلَ يُشْبِهُ حُكَماءَ القِصَصِ الخَيالِيَّة، ودَخَلَ إلى المَدينَةِ مَدْهوشًا لِعَدَمِ وُجودِ لافِتاتٍ إرْشادِيَّةٍ في شَوارِعِها، ما اضْطُرَّهُ إلى التَّوَقُّفِ عِنْدَ أحَدِ الشَّباب لِيَسْأَلَهُ عَنِ الطَّريقِ إلى «مَزْرَعَةِ الأمَل»، فَأشارَ الشّابُّ إلى طَريقِ المَزْرَعَة، وكانَتْ سَعادَةُ «عادِل» لا توصَفُ بِسَبَبِ إجابَةِ الشّابِّ المُخْتَصَرَة، إذْ خافَ أنْ يَرُدَّ مِثْلَ العَجوزِ بِثَرْثَرَةٍ لا تَتَوَقَّف.

لَكِن، سُرْعانَ ما صُدِمَ «عادِل»، إذْ إنَّ الطَّريقَ كانَتْ مَقْطوعَةً بِسَدٍّ تُرابِيٍّ، فَصَرَخ: «يا لَلهَوْل! لَقَدْ

خَدَعَني هَذا الشّابُّ وعَرَّضَ حَياتي لِلخَطَر».

عادَ «عادِل» أدْراجَهُ وهُوَ يُفَكِّر، إذْ رُبَّما لَمْ يَكُنِ الشّابُّ يَعْرِفُ مَكانَ المَزْرَعَة. وما إنْ وَصَلَ مَرَّةً أُخْرى إلى مُفْتَرَقِ الطُّرُق، حَتّى وَجَدَ سَيِّدَةً، ولَمْ



يَجِدْ لِلشّابِّ أثَرًا. فَسَألَها عَنْ طَريقِ المَزْرَعَة. فَكَّرَتِ السَّيِّدَةُ لِلَحْظَةٍ، ثُمَّ أشارَتْ إلى طَريقٍ أُخْرى، وقالَتْ إنَّهُ سَيَجِدُ المَزْرَعَةَ عِنْدَ نِهايَتِها.

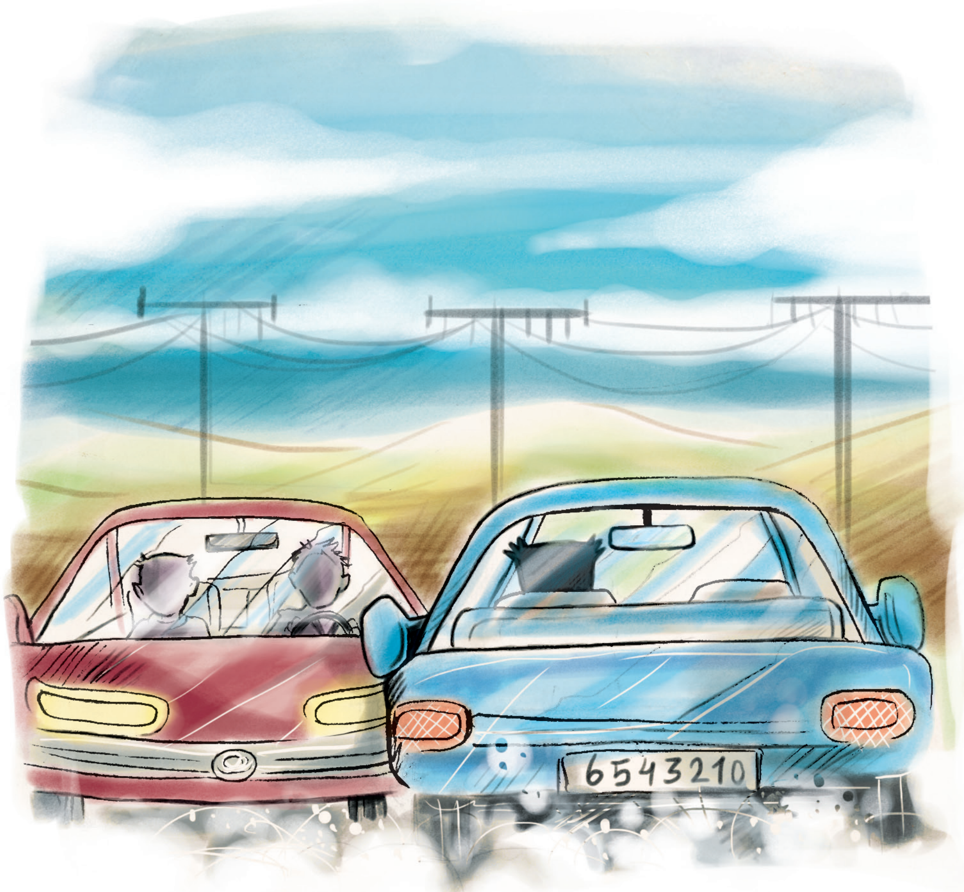
مُجَدَّدًا، وَجَدَ «عادِل» نَفْسَهُ تائِهًا، والصَّحْراءُ تُحيطُ بِه. فَصَرَخ: «يا إلَهي، لَقَدْ خُدِعْتُ مَرَّةً أُخْرى! ووَقودُ السَّيّارَةِ أوْشَكَ عَلى النَّفاذ».



هُنا، قَفَزَتْ إلى ذِهْنِهِ صورَةُ الرَّجُلِ العَجوز، الَّذي قالَ لَه: «لا تُصَدِّقْ كُلَّ ما يُقالُ لَكَ، واسْتَخْدِمْ عَقْلَكَ دائِمًا». لَقَدْ كانَ العَجوزُ عَلى حَقٍّ، وأرادَ أنْ يُخْبِرَهُ أنَّ سُكّانَ المَدينَةِ يَكْذِبونَ دائِمًا، ولِذَلِكَ كانَ يُطْلِقُ عَلَيْها اسْمَ «مَدينَة الأشْواك»، لا «مَدينَة الزُّهور». أمّا المُشْكِلَةُ الآن، كَيْفَ سَيَعود؟



مَرَّتِ الدَّقائِقُ عَلى «عادِل» كَالأيّامِ الطَّويلَة، إلى أنْ شاهَدَ سَيّارَةً تَقْتَرِبُ مِنْه. فأشارَ إلى سائِقِها بالتَّوَقُّف، وتَذَكَّرَ مُشْكِلَةَ الكَذِب، وقَرَّرَ أنْ يَعْرِفَ أوَّلًا إذا كانَ مَنْ في السَّيّارَةِ سَيَكْذِبونَ عَلَيْهِ أمْ لا.

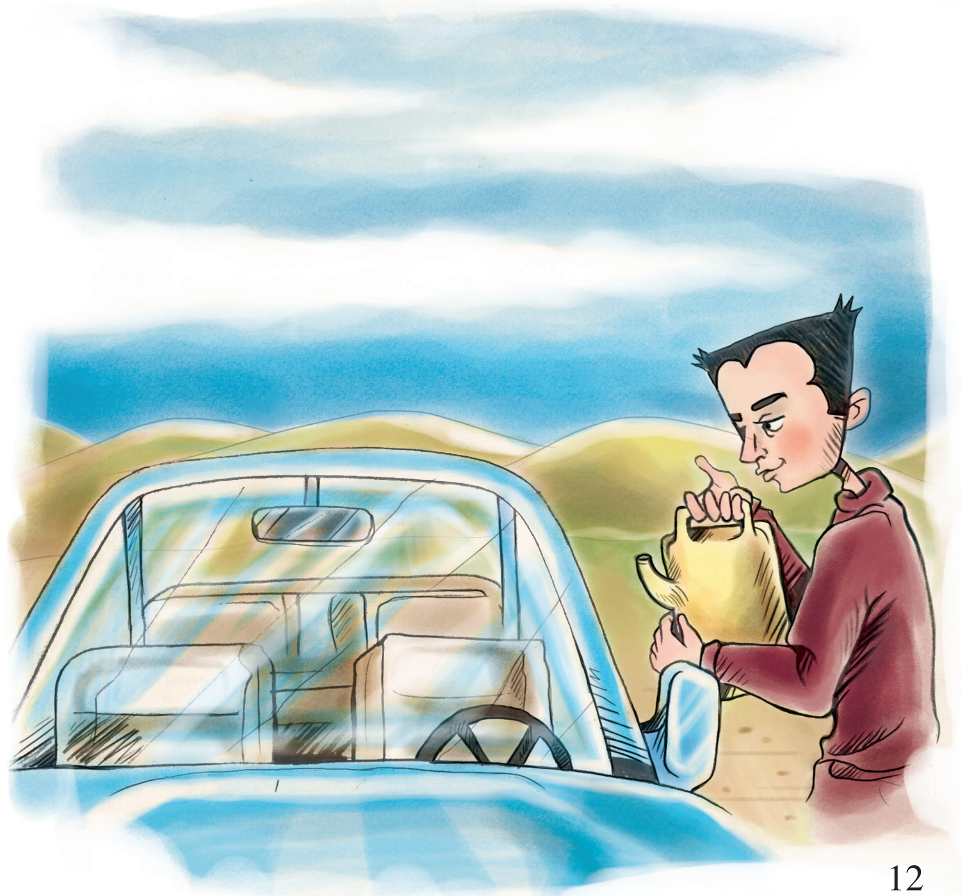


سَألَهُم عَنِ الطَّريقِ المُؤَدِّيَةِ إلى «مَدينَةِ الزُّهور»، تِلْكَ الَّتي سَلَكَها لِلتَّوّ، لَكِنَّهُم كَذَبوا عَلَيْهِ وضَلَّلوه. فَعَرِفَ أنَّهُم مِنْ أهْلِ «مَدينَةِ الكَذّابين». لِذا، قَرَّرَ أنْ يَسْتَخْدِمَ الحيلَةَ لِيَحْصُلَ مِنْهُم عَلى وَقودٍ.

اقْتَرَبَ مِنْهُم، وقال: «أنْتُم تَعْلَمونَ أنَّ الماءَ في هَذِهِ الصَّحْراءِ يُساوي الكَثير. هَلْ أسْتَطيعُ شِراءَ بَعْضٍ مِنْه؟». وبَعْدَ قَليلٍ مِنَ التَّفْكير، أعْطى أحَدُهُم لِـ«عادِل» مَطَرَةً، مُدَّعِيًا أنَّ فيها ماءً نَقِيًّا، وأخَذَ ثَمَنَها نُقودًا.

وبَيْنَما كانَ «عادِل» يَنْطَلِقُ بِسَيّارَتِه، كانَ الآخَرونَ يُهَنِّئونَ أنْفُسَهُم عَلى خِداعِه، ويَضْحَكونَ لِأنَّهُم أعْطَوْهُ وَقودًا بَدَلًا مِنَ الماء. أمّا «عادِل»، فَكانَ يُهَنِّئُ نَفْسَهُ عَلى نَجاحِ خُطَّتِه، لِأنَّ رائِحَةَ الوَقودِ كانَتْ تَمْلَأُ المَكانَ عِنْدَما سَكَبَهُ في خَزّانِ السَّيّارَة.

كانَ «عادِل» يَلومُ نَفْسَهُ عَلى ظَنِّهِ السَّيِّئِ بِالعَجوزِ الَّذي قابَلَهُ عِنْدَ مَدْخَلِ المَدينة، وبَدَأ عَقْلُهُ يَعْمَلُ بِطاقَتِهِ كُلِّها، لِلتَّفْكيرِ في مَخْرَجٍ مِنْ هَذِهِ الأزْمَة. إذ كَيْفَ يَصِلُ إلى المَزْرَعَةِ في «مَدينَةِ الكَذّابينَ» هَذِه، وكُلُّ مَنْ يَسْأَلُهُ يُضَلِّلُهُ، ولا لافِتاتٍ تُرْشِدُه.



قَرَّرَ «عادِل» أَنْ يَبْدَأَ مِنْ مَدْخَلِ المَدينَةِ مَرَّةً أُخْرى، وتَوَقَّفَ عِنْدَ بائِعِ الفَواكِهِ لِيَسْأَلَهُ عَنْ فاكِهَةِ «الكيوي»، كَأَنَّهُ لا يَعْرِفُها. فَرَدَّ البائِعُ أَنَّ «الكيوي» نَوْعٌ مِنَ البُرْتُقال. فَعَرَفَ «عادِل» أَنَّ البائِعَ مِنْ سُكّانِ



المَدينَة. سَألَهُ عَنْ طَريقِ «مَزْرَعَةِ الأمَل»، فَأشارَ الرَّجُلَ نَحْوَ الشَّرْق، فَشَكَرَهُ «عادِل»، ثُمَّ سارَ غَرْبًا.

وفِعْلًا، وَصَلَ «عادِل» إلى المَزْرَعَة، إنَّما المُفاجَأةُ المُدَوِّيَة، فَكانَتْ عِنْدَما وَجَدَ أنَّ صاحِبَ المَزْرَعَة، هُوَ نَفْسُهُ الرَّجُلُ العُجوزُ الَّذي قابَلَهُ عِنْدَ مَدْخَلِ المَدينَة!



رَحَّبَ العَجوزُ بِـ«عادِل» قائِلًا: «أهْلًا عادِل».

ـ لِماذا لَمْ تُخْبِرْني أنَّكَ صاحِبُ المَزْرَعَة؟

ـ لِأنَّكَ سَألْتَني عَنِ المَدينَةِ فَقَط، وكُنْتَ في غايَةِ العَجَلَة، حَتّى أنَّكَ لَمْ تَسْتَأْذِنْ في الانْصِراف.

ـ المُهِمّ، هَلْ سَتُعْطيني العُشْبَةَ الَّتي أخْبَرْتُكَ عَنْها سابِقًا؟

ـ طَبْعًا، فَلَقَدْ عانَيْتَ كَثيرًا، لِذَلِكَ يَجِبُ أنْ تَحْصُلَ عَلَيْها.

ـ أيُّ مُعاناةٍ! الكَذِبُ أسْوَأُ ما في الوُجود.

ـ كَثيرونَ مِنّا لا يَعْرِفونَ ما يُسَبِّبُهُ الكَذِب، إلّا بَعْدَما يَتَوَرَّطونَ بِسَبَبِه.

ـ هَذا حَقيقِيٌّ!

انْطَلَقَ «عادِل» بِسَيّارَتِهِ بَعْدَما وَعَدَ العَجوزَ أنْ يُسَلِّمَ والِدَهُ حَقيبَةً أعْطاهُ إيّاها. وفي الطَّريق، سَألَ

«عادِل» شابًّا عَنْ طَريقِ الخُروجِ مِنَ المَدينَة، فَأجابَهُ الشّابُّ مُشيرًا إلى طَريقٍ مُؤَكِّدًا أنَّهُ قادِمٌ مِنْها لِلتَّوّ.

فَسَلَكَ «عادِل» الطَّريقَ المُعاكِسَة.

ولَكِن، كانَتْ هُناكَ مُفاجَأةٌ في انْتِظارِ «عادِل»، إذْ وَجَدَ نَفْسَهُ في قَلْبِ المَدينَة، ووَصَلَ إلى النَّهْر. وبِالتّالي،



يَكونُ الشّابُّ قَدْ دَلَّهُ إلى الطَّريقِ الصَّحيحَة، وهَذا يَعْني أنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَكْذِب!

عادَ «عادِل» إلى الشّابّ، وسَألَه: «هَلْ أنْتَ ضَيْفٌ عَلى هَذِهِ المَدينَة؟». فَأجابَه: «نَعَم، وأُريدُ الذَّهابَ إلى النَّهْرِ لِمُقابَلَةِ أحَدِ أصْدِقائي».

فَابْتَسَمَ «عادِل» ودَلَّ الشّابَّ إلى طَريقِ النَّهْر. لَكِنَّ الغَريب، أنَّ الشّابَّ سَلَكَ الطَّريقَ المُعاكِسَة!

خَرَجَ «عادِل» مِنَ المَدينَة، وفَكَّرَ كَثيرًا في ما تَحْتَويهِ الحَقيبَة، ولِماذا أصَرَّ الرَّجُلُ العَجوزُ أنْ يُسَلِّمَها لِوالِدِه، لا لِلطَّبيب. وفي أثْناءِ تَفْكيرِه، تَذَكَّرَ أنَّ العَجوزَ كانَ يُناديهِ بِاسْمِهِ عَلى الرُّغْمِ مِنْ أنَّهُ لَمْ يُخْبِرْهُ بِه!

سَألَ «عادِل» نَفْسَهُ مِرارًا: «هَلْ أفْتَحُ الحَقيبَةَ لِأعْرِفَ ما فيها؟»، ثُمَّ تَراجَعَ لِأنَّهُ وَعَدَ العَجوزَ ألّا يَفْعَلَ ذَلِك.

وأخيرًا، قَرَّرَ أنْ يَفي بِوَعْدِهِ ولا يَفْتَحُها، لَعَلَّ والِدَهُ يُخْبِرُهُ بِما فيها حينَما يَصِل.

بَعْدَ فَتْرَةٍ، وَصَلَ «عادِل» إلى مَنْزِلِه، لِيَجِدَ والِدَهُ عَلى خَيْرِ ما يُرام، فَأَعْطاهُ الحَقيبَةَ المُغْلَقَةَ وهُوَ



يَتَمَنّى أنْ تَحْتَوِيَ سَبَبَ شِفائِه. ابْتَسَمَ الوالِدُ وقالَ لِابْنِه: «أهْلًا بِكَ يا وَلَدي، لَقَدْ شُفيتُ تَمامًا».

اخْتَلَطَتْ فَرْحَةُ «عادِل» بِدَهْشَتِهِ وهُوَ يَسْمَعُ هَذا الكَلام، وأيْضًا تَعْقيبَ صَديقِهِ طَبيبِ الأعْشابِ



الَّذي قال: «كانَ عِلاجُ والِدِكَ بَسيطًا، لَكِنَّهُ طَلَبَ إِلَيَّ أَنْ أَدَّعِيَ أَمْرَ العُشْبَةِ لِحاجَةٍ في نَفْسِه».

نَظَرَ «عادِل» إلى والِدِهِ الَّذي قالَ فَوْرًا: «هَذا صَحيحٌ يا وَلَدي، فَلَقَدْ لاحَظْتُ مُؤَخَّرًا أَنَّكَ تَكْذِبُ



كَثيرًا، بِسَبَبٍ ومِنْ دونِ سَبَبٍ، فَفَكَّرْتُ في هَذِهِ الحيلَة، وأَرْسَلْتُكَ إلى هَذِهِ المَدينَة، الَّتي يُشْتَهَرُ سُكّانُها بِالكَذِب، وأَخْبَرْتُ صَديقي الشَّيْخَ حامِد أَنْ يُكْمِلَ مَعي الحيلَة».

فَهِمَ «عادِل» لِماذا كانَ الرَّجُلُ العَجوزُ يَعْرِفُه. «لَكِنْ ماذا عَنِ الحَقيبَة؟»، سُؤالٌ طَرَحَهُ «عادِل» عَلى والِدِهِ الَّذي ابْتَسَم، وفَتَحَ الحَقيبَةَ الَّتي كانَتْ تَحْتَوي بَعْضَ الأَصْدافِ الَّتي جَمَعَها وهُوَ صَبِيٌّ.

وقالَ الوالِد: «لَقَدْ كُنْتُ في صِغَري لا أَصْبِرُ عَلى شَيْءٍ أَبَدًا. وأَرادَ والِدي أَنْ يُعَلِّمَني الصَّبْر، فَأَرْسَلَني لأَجْمَعَ هَذِهِ الأَصْدافَ في يَوْمٍ عاصِفٍ والأَمْواجُ فيهِ عالِيَةٌ، وأَوْهَمَني أَنَّهُ يَحْتاجُ إِلَيْها بِشِدَّةٍ.

ومِنْ مُعاناتي الشَّديدَةِ ذَلِكَ اليَوْم، تَعَلَّمْتُ الصَّبْرَ الَّذي كانَ الطَّريقَ الأفْضَلَ لِتَنْمُوَ تِجارَتي وأُصْبِحَ مِنَ الأثْرِياء. لِذا، قَرَّرْتُ أنْ أُنْسيَكَ الكَذِبَ بِإرْسالِكَ إلى مَدينَةِ الكَذّابين، لِأنَّ النّاسَ يَكْرَهونَ الكاذِبَ، وبِخاصَّةٍ إذا كانَ تاجِرًا».

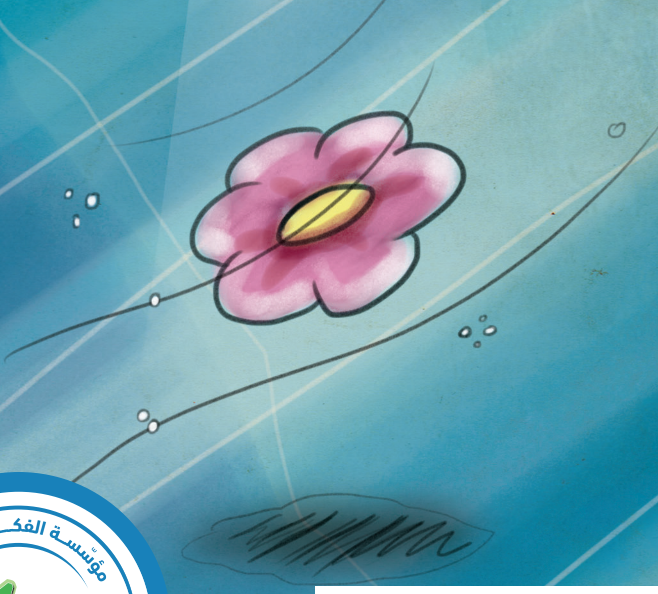


انْحَنى «عادِل» أمامَ والِدِهِ وهُوَ يَقول: «أعِدُكَ يا أبي أنْ أكونَ صادِقًا دائِمًا». فَابْتَسَمَ الوالِد، وقال: «أنا مُتَأكِّدٌ مِنْ ذَلِكَ يا وَلَدي، فَعلى الرَّغْمِ مِنْ شُكوكِكَ في ما حَدَث، لَمْ تَفْتَحِ الحَقيبَة».



الموضوع: المغامرة، الصّدق

تَخَيَّلْ أنَّكَ في مَدينَةٍ لا يَتَحَدَّثُ أيٌّ مِنْ سُكّانِها بِالصِّدْق. نَعَم، إنَّها مَدينَةُ الكَذّابين!
تُرى، كَيْفَ يَسْتَطيعُ بَطَلُنا إنْجازَ مَهَمَّتِهِ في مَدينَةٍ كَهَذِه؟ وهَلْ سَيَصِلُ إلى الرَّجُلِ الغامِضِ الَّذي أعْطاهُ والِدُهُ عُنْوانَهُ لِيَذْهَبَ إلَيْه؟ ماذا سَيُعْطيهِ ذَلِكَ الرَّجُل؟
الإجابَةُ عَنْ هَذِهِ الأسْئِلَةِ كُلِّها، إضافَةً إلى مُغامَرَةٍ شَيِّقَةٍ، داخِلَ صَفَحاتِ هَذا الكِتاب.



مؤسّسة الفكر العربي
عربي21
معايير تصنيف عربي21 وهنادا طه
ل

ISBN 978-614-442-458-2
9 786144 424582
Book # A 1421

أصالة